

وعلى هذا نرى انه يجب العمل بشورة الاطباء والاعتماد على احكامهم فاذا قالوا ان المرض الفلاني يعدي ولا بد من اخبارهم عن المريض به وجب على كل احد ان يصدق قولهم ويطيع امرهم والآن فلومنا على نفسه . ولا تلام الحكومة اذا اجبرت رعاياها على العمل بالوسائل التي تمنع انتشار العدوى . وكما انه لا يجوز لاحد ان يطرح السم في ترعة يشرب منها الناس لا يجوز له ايضا ان يلقي فيها مواد تشرينهم الوباء

مفاخر الشرق ومفاخر الغرب

[ترجمة رسالة من سلطان الصين الى الملك جورج الثالث ملك الانكليز بعث بها اليه سنة ١٧٩٣ جواباً على خطاب ارسله ملك الانكليز مع سفيره لورد ماكرتي]
صدرت ارادة سلطانية الى ملك الانكليز بما يأتي

ايها الملك العميد وراء البحار الكثيرة لقد اتجه قلبك تجاه العميران وبعثت الينا رسلاً يحملون خطابك الدال على خضوعك فقطعوا البحار ووصلوا الى بلاطنا ورفعوا صلواتهم الحارة لاجل نجاح سلطنتنا وقدموا لنا جزيتك الدالة على اخلاصك القلبي . وقد فضضنا خطابك وقرأناه فوجدنا عبارته تدل على طاعتك لنا واحترامك لنا ولذا امرنا بقبوله واستحسانه . اما رئيس الرسل واعوانه الذين حملوا خطابك وجزيتك فقد نظرنا الى المشاق التي كابدها في القيام بهذه السفارة البعيدة الشقة فتنازلنا وامرنا وزرنا ان يكونهم من نعمة المثلول بين ايدينا وانعنا عليهم بوليمة ونعم متواليه اظهار المحبتنا وحنوتنا . اما الضباط والخدم الذين في السفينة وعدددهم ستمئة او اكثر فقد عادوا بها الى تشوسان قبل ان يبلغوا العاصمة وقد احسنا اليهم ايضا لكي يكون لهم نصيب وافر من لطفنا المجيد ويكونوا كلهم مشمولين بكرمنا وقد توصلت الينا في خطابك لكي نسح لك بارسال رجل من ابناء جلدتك يقم بين بلاطنا السموي^(١) ويدبر الامور التجارية الخاصة بممالكك . الا ان هذا مناقض لسياسة البلاط السموي ولا يمكن السماح به بوجه من الوجوه . وقد رغب البعض من الامم الاوربية في المجيء الى البلاط السموي والانتظام في خدمته فاذن لهم بالمجيء الى عاصمتنا ولكنهم حالما دخلوها خضعوا لكل قوانين البلاط السموي ونزلوا في الدار^(٢) ولم يسمح لهم بالعودة الى بلادهم

(١) يراد بالبلاط السموي بلاد الصين وهو لقب تلقب به نفسها في خطاب الاجانب وقد استعمله سلطان

الصين منا بمعنى بلاد الصين ومعنى بلاط الملك

(٢) يراد بالدار منازل المرسلين الاوربيين ونسى دار رب السماء

هَذَا هو قانون البلاط السموي ويجب ان تكون عارفاً به ايها الملك . والآن نطلب ان
 ترسل رجلاً من قومك ليقم في عاصمتنا وبما ان هَذَا الرجل لا يضطر ان يبق في بلادنا
 دائماً مثل سائر الاوربيين الذين انتظموا في خدمتنا فيستحيل عليه ان يجول في البلاد ويرسل
 الاخبار بالاضطراد ولذلك يكون وجوده عبثاً . ثم ان البلاد الخاضعة للبلاط السموي واسعة
 الاطراف جداً واذا جاء رسول منها إلى عاصمتنا فديوان الترجمة يهتم بامره وتقيّد حركاته
 كلها على موجب قوانين مدققة . ولم يسبق اننا سمعنا لرسول ان يفعل كما يشاء فاذا كانت
 بلادك ترسل رجلاً الى عاصمتنا ليقم فيها فلنته لا نفهم ولبسه يكره غريباً وليس عندنا
 مكان مناسب لذلك ولا يريد بلاطنا ان يضطره إلى تغيير زيده ان لم يغيره هو من نفسه لاننا
 لا نمنع الحرية الشخصية . ثم ان بلدان اوربا كثيرة ومملكته است الوحيدة فيها فاذا
 توصلت كلها الينا كما توصلت انت لكي نأذن لكل مملكة منها بارسال رجل يقيم في عاصمتنا
 فكيف يمكننا ان نسمح بذلك لكل واحدة منها — هذا ضرب المحال حتماً . وهل يعقل اننا نغير
 عوائد بلاطنا القديمة لكي نجيب طلبك انت وحدك . وان قيل ان غرضك من ارساله ان
 يراقب احوال التجارة أجبته انه مضى على قومك زمن طويل يتجرون في مكاو من بلاد الصين
 وكانوا دائماً يعاملون احسن معاملة مثال ذلك ان الورددين اللذين ارسلتهما اليه تغال وابطاليا
 وصلا إلى بلاطنا وطلبنا مطالب تعلقت بتجارة وراى بلاطنا السموي اخلاصهما فآكرم
 مشواهما وكلما حدث حادث تعلقت بتجارة البلادين ؛ لنا ما يرضيهما . ولا بد من انه بلغ ذلك
 مملكته فلماذا تلج الممالك الاجنبية بارسال اناس يقيمون في عاصمتنا وتطلب مطالب لم يسبق
 لها مثيل ولا يمكن ان تجاب . ثم ان الرجل الذي يقيم في العاصمة يكون بعيداً عن مركز
 التجارة في مكاو مسافة ثلاثة آلاف ميل فكيف يتسنى له ان يراقب التجارة مراقبة نافعة وان
 قلت انك تريد ان ترسله احتراماً للبلاط السموي وترغب في ان يرى بعينها اساليب العمران
 أجبته ان نظام البلاط السموي صالح له ومخالف لما هو متبع في مملكته . وهب ان الرجل
 استطاع ان يتعلم اساليبنا فلا بد من ان يكون في مملكته اساليب خاصة بها فلا تتركها وتنتفع
 اساليبنا . ولذلك فاذا فرضنا ان الرجل استطاع ان يتعلم اساليبنا فهو لا يستطيع ان يستعملها .
 وقد وثق البلاط السموي بين كل الامم التي ضمن التجار الاربعة وليس له من غرض الآ
 حسن السياسة ولا قيمة عنده للتحف النادرة الغالية الثمن . اما الاشياء التي بعثت بها الينا الآن
 ايها الملك فقد نظرنا الى اخلاص نيتك وبعد الثقة التي ارسلت فيها ولذلك امرنا رجالنا الذين
 يناط بهم امر التحف ان يتلوه . ومن المقرر ان سلطة البلاط السموي نافذة في كل

الاقطار وياتينا وفود الممالك العديدة دائماً لتقديم فروض الطاعة . والتحف الثينة النادرة المنال
تقطع البحار دواماً وتراكم عندنا فلا شيء إلا وعندنا منه كما رأى رسولك بعينه . ومع
ذلك ترانا لا نهم بهذه الطوائف ولا نتنظر ان ترسل الينا شيئاً من مصنوعات بلادك بعد
الآن . فاسألك وهو ان ترسل رجلاً يقيم في عاصمتنا مناقض لسياسة البلاط السموي وخالٍ
من كل تقع لمملكك

فقد ابلغناك ارادتنا وامرنا رجالك ان يعودوا حالاً الى بلادهم ويحسن بك ايها الملك
ان تبذل جهدك لتفهم مقاصدنا السلطانية وتضفي عزيمتك لتبرهن لنا على حسن ولائك واجتهد
دائماً ان تكون خاضعاً لنا محترماً لمقادنا لكي يكون لمملكك نصيبها من نعم السلام
وقد اطلعنا على رسائل اخرى من هذا القبيل بعث بها سلطان الصين الى ملك الانكليز
منذ مئة عام وهي على هذا النسق كأنها صادرة من رئيس كبير الى رؤوس صغير وفيها من
ضروب الالهانة والتحقير ما لا يكتبه سيد الى عبده . واذا ذكر فيها تجار الانكليز سماوا برابرة
وسميت بلادهم بلاد البرابرة كتحولهم في رسالة اخرى

” لقد تأقت نفسك ايها الملك من بلادك البعيدة الى اسباب الحضارة ووجبت قلبك
وحملك نحو طرق الفلاح فارسك الينا رسلك ومعهم رسالة وجيزة لقطعوا البحار ويتسولوا بطلب
سلامتنا . نرأينا اخلاصك في طاعتك لنا وامرنا وزراءنا ان ياتوا يرسلك ليتشرفوا بالثول
بين ايدينا وانعمنا عليهم بولاية وبيبات وافرة . وقد صدرت ارادتنا السنية بارسال بعض
الهدايا اليك من الحرير المشجر والتحف اظهاراً لتعطفاتنا

وبالامر ذكر رسلك تجارة مملكك وتوسلوا الى وزرائنا لكي يرضوا هذا الامر علينا .
وهو يعترض لبعض السن الثابتة فلا يمكننا ان نوافق عليه . وحتى الآن كانت سفن
البرابرة من ممالك اوربا المختلفة ومملكك في جملتها تأتي بما فيها الى مكاو ومضى على ذلك
زمن طويل فبوليس من امور الامس . اما البلاط السموي فغني بكل قية وما من شيء الا
وفيه منه فليس به حاجة الى بضائع البرابرة . ولكن بما ان الثاي والحرير والخزف الصيني
التي هي من حاصلات البلاط السموي بضائع لا بد منها للمالك الاوربية ولمملكك في جملتها
فتازلاً منا وشفقة انشأنا مخازن في مكاو لكي تأخذ منها تلك الممالك ما تحتاج اليه فتتمتع كلها
بوفرة غنانا . ولكن رسلك لم يكتفوا بذلك بل طلبوا مطالب اخرى تزيد عليه على اسلوب
مناقض لاصول انعام البلاط السموي على كل البعدين عنه واعشائه الابوي بالبرابرة الخلفي
الاجناس . ثم ان البلاط السموي يتسلط على كل الممالك وينم على الجميع على حد سوي

فالدنين يتجرون في كنتون يسوا من بلاد الانكليز فقط فان اتوا كلهم واقلقونا بمطالبهم مثلاً
اقلقتنا فهل يمكن ان نمدل عن مسلكنا القويم ونجيبهم إلى مطالبهم. وبما اننا نعلم ان مملكتك في
زاوية خفية في القفر البعيد يفصلها عنا بحار كثيرة وانت بالطبع غير عارف رسوم البلاط
السموي فلذلك امرنا ورزاءنا ان يوضحوا ذلك كله لرسلك ويثقفوا عقولهم ثم يصرفوهم الى
بلادهم. ولكننا خفنا من ان رسلك لا يوضحون هذه الامور لك جيداً فاستعلمنا عمماً يطلبون
وارسلنا اليك الاوامر التالية لتعلمك عساك تنهم معنا. " ويتلو ذلك مئة اوامر مشروحة
شرحاً مسبباً بين فيها انه لا يمكن اجابة مطالبه وهي مختصة بالكلام الآتي
" فلا تقل اننا لم نندرك نخف واخضع لاوامرنا بلا امهال "

ولم يكن الانكليز كما يوصفون بهذه الرسالة بل كان لهم المقام الاول بين دول اوربا
كما لهم الآن. الا انهم لم يرضوا عن سلطان الصين لانه جهل قدرهم بل بعثوا اليه وفدًا بعد
وفدٍ ورسولاً بعد رسول ثم اروه مقدرتهم بقتال المدافع سنة ١٨٤٠ ودخلوا عاصمته عنوةً
فاضطروه ان يسلمهم جزيرة هونغ كونغ وينتج موانئ لتجارتهم ويخاطب ملكهم كما يخاطب
الملك مثله. وحاربوه مرة اخرى سنة ١٨٥٨ واضطروه ان يقبل سفراءهم في عاصمته
ويعاملهم معاملة نواب ملك مساو له مقاماً وان يسمح الاوربيين ان يسافروا في بلاده كما
سافروا. وحاول ان لا يمضي شروط الصلح فحاربوه مرة ثالثة وفتحوا عاصمته واضطروه إلى امضاها
وتاريخ الاوربيين مع اعم المشرق يكاد يكون كله على هذا النسق ونتيجته واحدة وهي
ان الاوربيين يعتمدون على العلم والعمل فيزيدون قوة وعظمة وغنى ونحن نعتمد على الدعوى
والاوهام فتزيد ضعفاً وحطةً وفقراً. اما اسباب ذلك فنترك البحث فيها الى القراء الكرام

زوبعة سنت لويس

سنت لويس مدينة في وسط النصف الشرقي من الولايات الامريكية المتحدة وهي اعظم
مدينة تجارية في وادي نهر الميسسي. كانت في اول امرها مرفأً على ذلك النهر العظيم انشأه رجل
فرنسي سنة ١٧٦٤ وسماه سنت لويس باسم لويس التاسع ملك فرنسا ونشأت هناك قرية
صغيرة ضمت الى اميركا سنة ١٨٠٣ وبلغ عدد سكانها ٢٩٥ نفساً سنة ١٧٩٩ و ١٤٠٠ نفس
سنة ١٨٢٠ ثم زاد نموها سريعاً كغيرها من المدن الاميريكية فبلغ عدد اهاليها ١٦٤٦٩